



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة تكريت

كلية التربية للعلوم الانسانية

محاضرات في تاريخ أوروبا في العصور الوسطى (١٤٥٣ – ٤٧٦)

الأستاذ الدكتور رائد سامي حميد

قسم التاريخ

المرحلة الاولى

٢٠٢٤ – ٢٠٢٥

المحاضرة الثامنة

الإقطاع

كان للإقطاع Feudalism تأثير كبير على تاريخ أوروبا في العصور الوسطى . ويعد النظام الإقطاعي إحدى السمات الأساسية التي تميز تاريخ أوروبا في العصور الوسطى . وهناك عدة آراء حول تعريف الإقطاع:-

- ١- الإقطاع عبارة عن تجربة فرضتها الحوادث كبديل عن الحكم المركزي.
- ٢- الإقطاع عبارة عن علاقة بين سيد ومسود تمارس فيه السلطة نتيجة لتعاقدات مدونة او عرفية غير مدونة.
- ٣- الإقطاع هو مرحلة تطورية تمر بها الشعوب من إنتاج قائم على العمل العبودي والاستغلال الى ما هو أرقى .

ومهما تعددت الآراء حول الإقطاع، فانه يستند على ثلاثة مرتكزات :

١- التبعية Vassalage

٢- الضيعة Fiefdom

٣- السلطة Authority .

١- التبعية Vassalage :

تستند على علاقة شخصية بين تابع ومتبوع أوسيد ومسود ، يتعهد فيها الاول بحماية الثاني ومعيشته مقابل ان يتعهد الثاني بخدمته عسكرياً . ويعتقد أن منشأ مؤسسة التبعية هذه التي شاعت في العصور الأوربية الوسطى في أوروبا الغربية قد جاء من مصدرين :

١- المصدر الجرمانى : كان للجرمان الأوائل قبل دخولهم الإمبراطورية الرومانية مؤسسة شبيهة بمؤسسة التبعية قائمة على أساس عسكري ويشار لها "الرفقة الباسلة" ، وهذه تتألف من مجموعة أفراد أحرار التفوا حول راية زعيم من الزعماء ونذروا أنفسهم للموت دفاعاً عن زعيمهم.

٢- المصدر الرومانى : كانت هناك مؤسسة شبيهة بمؤسسة العبيد لدى الرومان ، ولها مظهران عسكري ومدني يشار لها "مؤسسة الحماية"، يتعهد فيها الحامي ان يعيل الإلتباع مقابل خدمات عسكرية ومدنية. ويشار الى الطريقة التي ينضوي فيها الفرد الحر

تحت راية الحامي او الزعيم . وكانت التبعية تعتمد في البداية على فرق المشاة ، وأصبح الأتباع فيما بعد يتجمعون بشكل فرق الخالية او الفروسية وأصبحت الفروسية هي الجهاز العسكري الطاعي طيلة العصور الوسطى، وتتم التبعية عادة في العصور الوسطى في احتفالات خاصة دينية ودنيوية، يقوم فيها التابع بتقديم واجبين أساسيين الى سيده ويشار الى الأول بواجب " الولاء " ويشار الى الثاني بواجب "الإخلاص".

٢- الضيعة Fiefdom :

تعتمد على الأرض المقطعة وعلى كافة حقوق الإستثمار الإقتصادي سواء أكانت الأرض المقطعة تتألف من ضيعة واحدة أو عدة ضياع . وهذه الظاهرة معروفة منذ العهد الروماني . والأراضي المقطعة في العهد الروماني وأوائل العصور الوسطى عبارة عن ملك مؤقت، إلا أنها تحولت الى تملك لمدى الحياة ثم أصبحت وراثية فيما بعد . فهي أما ان تكون من ملوك وهبوا الى أتباعهم من الأمراء او إستحصلت عن طريق القوة أو أنها جاءت نتيجة لتنازل ملاكين صغار عن ملكيتهم الى زعيم مجاور قوي يتمكن من حمايتهم على ان يسمح لهم بإستثمار سطح الأرض فقط لمدى حياة الملك الأصلي في البداية وقد أصبحت وراثية فيما بعد بأسرة المالك الصغير الأصلي.

٣- السلطة Authority :

لا يمكن للإقطاع ان يكون كاملاً الا إذا اتحدت فيه تلك المكونات الثلاثة : **التبعية** ، **الضيعة**، و**حق ممارسة السلطة**. أما المنطقة الإقطاعية او الوحدة الإقطاعية التي يمارس فيها الزعيم الإقطاعي السيادة فيشار لها **الدومين** Dominion او **اللوردية** Lordship ، مع العلم إن كلمة الدومين تشير الى التملك والسلطة ، ويجب ان يفهم بان سلطة الرئيس الإقطاعي في الدومين وكذلك حقوق ملكيته محدودة ، أي غير مطلقة حددتها العقود الإقطاعية والعرف ، فلا يحق له مثلاً أن يصادر ما في حوزة أتباعه او أن يجور عليهم في الحكم لأن هؤلاء الأتباع هم من الطبقة الأرستقراطية التي ينتمي إليها الرئيس ، مع العلم بأنه قد توجد في الدومين عدة مؤسسات قضائية تشارك السيد الإقطاعي السلطة في الدومين ، **كمحاكم الكنيسة والمحاكم الملكية** . وكانت المحاكم الإقطاعية في الدومين تتبع عدة طرق بدائية في معرفة الحق من

الباطل او التفريق بين المجرم والبريء . فهناك مثلاً **طريقة المبارزة**: وذلك بتحكيم السيف او السلاح بين متخاصمين وإن المنتصر عادةً يكون الحق معه لان الله مع الحق ، وهناك طريقة **التحكيم المحني** : وذلك باللجوء الى تحكيم قوى الطبيعة بين المتخاصمين لمعرفة الحق من الباطل وتتبع من اجل ذلك عدة طرق كتحكيم النار ،أي ان يجبر المتهم أن يسير بين صفي نيران مشتعلة ، فان لم تمسه النار بسوء فذلك دليل على براءته لأن النار لا تمس الأبرار أو يلجأ الى تحكيم المياه كأن يلقى المتهم في بركة مياه فإن لم يغطس لمدة معقولة ، حسب رأي المحكمين ،يأخذ بجريته لأنه لو كان طاهراً لاحتضنته المياه لمدة معقولة .

التعهدات الإقطاعية

وتتألف من قسمين يشار الى الأول **بالمساعدات** ويشار الى الثاني **بالمشورات**. ويقصد **بالمساعدات** : الإعانات المالية والواجبات العسكرية، فهناك عدة مناسبات يتحتم فيها على التابع أن يؤدي الى سيده مبالغ معينة تكون نوعية عادةً (عينية) وذلك في الحالات الآتية :-

- ١- عندما يصبح الابن الأكبر فارساً.
 - ٢- في حالة زواج بنت السيد الإقطاعي الكبرى.
 - ٣- في حالة وقوع الرئيس الإقطاعي في الأسر حيث يجب تقديم الأموال المترتبة على كل تابع من أجل إفتدائه من الأسر.
 - ٤- الضيافة : ويقصد بذلك أن يقوم التابع بتضييف سيده هو وحراسه فيما إذا مرّ في منطقة التابع.
- اما المساعدات العسكرية فتتلخص في أن يخدم التابع عسكرياً في قلعة النبيل الإقطاعي لمدة أربعين يوماً في السنة الواحدة ، وعليه ان يقوم بتزويد نفسه طيلة تلك المدة بالأسلحة الضرورية ومواد المعيشة ،وقد تكلف أسرة التابع ايضاً ان تقوم ببعض الأعمال في قصر الأمير الإقطاعي لمدة معينة في كل سنة.

ويقصد **بالمشورات** : تقديم النصيح والإرشاد للإقطاعي في أعماله الإدارية والقضائية إن دعت الضرورة ، وعليهم أيضاً حضور الاجتماعات العامة التي يدعو إليها الرئيس الإقطاعي ، وعادةً ما تكون تلك الاجتماعات في قلعة الأمير، وذلك لاستشارتهم في أمور الحرب والسلام إذا اقتضت

الحالة ذلك ، كما يمكن للأمير الإقطاعي أن يقترح زيادة العوائد في تلك الدعوات العامة، ولا يمكن للعوائد الجديدة ان تكون سارية المفعول إلا بعد موافقة أكثرية الحاضرين من الأتباع.

الوراثة الإقطاعية :

إن القاعدة الأساسية في وراثة الإقطاعيات أن تكون الى **الأبن الأكبر**، وذلك لتحديد مسؤوليات التبعية في شخص واحد للمحافظة على وحدة إنتاج الضياع الإقطاعية ، وعلى الوريث الجديد ان يؤدي واجبي **الولاء Homage** ، و**الإخلاص Fealty** عند استلامه الميراث من السيد الإقطاعي وأن يقدم له أيضاً مبلغاً من المال يشار له **الخلاص**.

أما في حالة عدم وجود وريث للتابع ، فتعود الأرض الى رئيس الإقطاع وفي هذه الحالة تسمى تلك الأرض **الإيالة**. أما إذا كان الوريث دون سن الرشد فيقوم رئيس الإقطاع بالوصاية عليه ويتقاضى عن ذلك مبالغ من المال يشار لها **بحقوق الوصاية** ، أما إذا لم يكن للتابع الراحل وريث من الذكور فان زوج البنت الكبرى هو الذي يرث المقاطعات بعد ان يؤدي واجبات التبعية من ولاء وإخلاص ومبلغ الخلاص. وهناك ظاهرة لوحظت في أواخر العصور الوسطى في المجتمعات الإقطاعية في أوروبا الغربية فيما يخص الوراثة ، إذ ظهرت الوراثة **الوقفية الذرية**، وذلك بأن تقسم العائدات على أسرة التابع الراحل على شرط أن يتولى أكبرهم عمراً مسؤولية المقاطعة اتجاه رئيس الإقطاع.

وحدة الإنتاج الأساسية في الإقطاع :-

الوحدة الأساسية في الإنتاج في العصور الإقطاعية في أوروبا الغربية هي **الضيعة** او **القرية**، والمنتجون هم الأقنان وليس الأتباع ، لان مهنة التابع هي التملك والإدارة والقتال .
والقنانة : عبارة عن مرحلة تطويرية وسطى بين العمل العبودي والعمل الحر . واصل الأقنان أما عبيدا إرتفعوا في السلم الإجتماعي أو صغاراً احراراً أزرى بهم الدهر . وتكون الضيعة وحدة إنتاجية قائمة بذاتها ، والإنتاج عادةً من أجل المعيشة وليس من أجل المتاجرة ، والتعامل بين الناس يكون عادةً عن طريق المقايضة او التبادل النوعي أو العيني .ولم تظهر ظاهرة التعامل النقدي الا في المراحل الأخيرة من العصور الإقطاعية.

وطريقة الزراعة هي في مناوبة المحاصيل ، أي تزرع نصف المساحة ويترك النصف الآخر بوراً من أجل استعادة الخصوبة . و طرأت بعض التحسينات على طريقة الزراعة في الأدوار الأخيرة من العصور الإقطاعية ، إذ أخذ الفلاحون يستفيدون من ثلثي مساحة الأراضي وترك الثلث الآخر مهجوراً لمدة موسمية لاستعادة خصوبتها ويشار الى هذه الطريقة نظام الحقل الثلاثي.

الفروسية الإقطاعية:

وهي الجهاز العسكري في مؤسسة التبعية وتقتصر على الطبقة الارستقراطية أصبحت الفروسية فلسفة اجتماعية وجهازاً طبقياً لها ما يميزها من خصائص تربوية ومسلكية . ويمر الفرد الذي ينخرط في الفروسية بثلاث مراحل قبل ان يصبح فارساً.

١- المرحلة الأولى :

وتمتد من سن السابعة الى الرابعة عشر ، حيث يرسل فيها الصبي الى قصر رئيس الإقطاع لكي يتعود على السلوك الأرستقراطي.

٢- المرحلة الثانية :

وتمتد من سن الرابعة عشر حتى الحادي والعشرين ، حيث يلزم الفتى احد الفرسان ملازمة تامة في حله وترحاله ويقوم بمساعدته في إرتداء الدروع ونزعها والاعتناء بأسلحته الإحتياطية . ويشار الى هذه المرحلة بمرحلة حامل الترس ، إذ عليه ان يتدرب على القتال ضد الشواخص والدمى.

٣- مرحلة تقلد السلاح :

تنتهي هذه المرحلة بإحتفال عندما يكمل الفتى مراحل التدريب وللاحتفال مظهران ديني وديني ، حيث تشترك الكنيسة في إحتفالات تقليد السلاح وعند ذاك يعلن الفتى بأنه قد أصبح فارساً . وتعتمد الفروسية على ثلاثة أسس هي:- الحرب . الدين . الشهامة.

بلغت الفروسية عنفوانها بين القرنين العاشر والثالث عشر الميلاديين . ومن أشهر الفرسان هي الإستبارية وفرسان المعبد ، وقد تشكلت هاتين الفرقتين في الأراضي المقدسة أثناء الحروب الصليبية ثم نقلت فعاليتها الى أوروبا. إختلف المؤرخون في تقييم الفروسية ، فعدها البعض مؤسسة

شريرة تظاهرت بالمثل رياءً وإن تاريخ الفروسية في أوربا مليء بالمآسي والحروب المحلية مما اضطر رجال الدين في أواخر القرن الحادي عشر الى توجيه الدعوات للتقليل من تلك المعارك الداخلية في المجتمع المسيحي الأوربي التي سببها الفرسان ، لهذا دعت الى السلام الذي يشار له بالهدنة الربانية ، وذلك ليمتتع هؤلاء من شن الحروب المحلية والافتتال الفردي في أيام معينة من الأسبوع وفي مواسم معينة من السنة. ويرى البعض الآخر أن الفروسية مؤسسة تهدف الى خدمة المجتمع وإنها مصدراً للخير. وعلى العموم فإن الفروسية كانت مرحلة مهمة في تاريخ أوربا في العصور الوسطى ، شكلت آدابها رصيذاً لم يزل بعض الكتاب يرجعون إليه حتى الوقت الحاضر ، كما ان فرق الفرسان الأوربية قدمت خدمات عسكرية لا يستهان بها خاصة في حقبة الغزو الثاني لأوروبا.